

## الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري (143)

نحو تخطيط النفسراضية التركيبية:

حقائق وفروض

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD070117.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

[mokattampsy2002@hotmail.com](mailto:mokattampsy2002@hotmail.com) - [rakhawy@rakhawy.org](mailto:rakhawy@rakhawy.org)

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/01/07  
السنة العاشرة - العدد: 3417



الممكن المتاح من منظومات الوعي = الأمخاخ

أكدنا في النشرة الماضية (السبت 2 يناير) أنه:

من مبادئ الطب النفسي الإيقاعحيوي البدء بقراءة النص البشري برصد ما جرى في التركيب الحالي (وخاصة للأمخاخ) بإيجابياتها وسلبياتها، فلم يعد يكفي أن نرصد نشاط المخ البدائي الارتدائي (1)، أو المخ القتالي الكرفري.... وإنما علينا أن نرصد حالة ونشاط وتاريخ المخ الأحدث وهو المخ الاجتماعي التكيفي، والمخ الأقدر على التكامل والجدل والإبداع: .المخ التكامل الجدي الإبداعي: في "اليتكون".

واقع الحال أن الممارس لا يمكن أن يتعامل مع الكيان البشري، أو المخ البشري على أنه ممثل للحياة ولكل الأحياء، (هذا حسب الطب النفسي التطوري)، فما بالك إذا امتد هذا الفرض إلى الدعوة للتعامل مع جماع هذه الأحياء وكل الحياة "هنا والآن"، وهي تعيد سيرتها الأولى، (حسب الطب النفسي الإيقاعحيوي التطوري!) باعتبار أن المخ البشري هو حديقة حيوان/ أحياء التاريخ الحيوي كله!! هذا بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع وحدات الزمن متناهية الصغير، وكذلك مع مفاهيم غامضة لم يعرف العلم بعد أبعادا محددة لها بطريقه حاسمة، وبالذات مفهوم الوعي، بكل تجلياته وامتدادته، وتداخلاته، وجدله، وإبداعه.

### ما هو المخ تحديداً:

لكن دعونا نبدأ بتحديد مفهوم ما نعني بالمخ من جديد، لأنني أشعر بالحرج كلما تحدثت عن المخ وشعرت أن ما يصل إلى المتلقي، وخاصة من الأطباء أو من هواة "سندوتشات الكبدية والمخ(2)"، والأصعب حين أستعمل لغة الجمع، وأتكلّم عن "الأمخاخ"، وعلى الجانب الآخر، يستقبل غير الأطباء المخ بمفهوم تجريدي صرف على أنه مرادف لما هو "عقل"، وبرغم استعمال دانيال دينيت لهذا الترادف (الذي نبهت على رفضي له في نقدي لكتابه "أنواع العقول(3)"، إلا أن ما وصلني منه برغم العنوان هو تأكّيده على أنه إنما يتكلم عن مستويات الوعي، وهو ما أشار إليه في العنوان الفرعي لنفس الكتاب: نحو فهم ما للوعي.

مرة أخرى ليست أخيرة:

“المخ: هو منظومة نيوروبيولوجية وجودية تطورية- لها مركز اساسي في عضو داخل

من مبادئ الطب النفسي الإيقاعحيوي البدء بقراءة النص البشري برصد ما جرى في التركيب الحالي (وخاصة للأمخاخ) بإيجابياتها وسلبياتها

علينا أن نرصد حالة ونشاط وتاريخ المخ الأحدث وهو المخ الاجتماعي التكيفي، والمخ الأقدر على التكامل والجدل والإبداع: .المخ التكامل الجدي الإبداعي: في "اليتكون"

واقع الحال أن الممارس لا يمكن أن يتعامل مع الكيان البشري، أو المخ البشري على أنه ممثل للحياة ولكل الأحياء، (هذا حسب الطب النفسي التطوري)، فما بالك إذا امتد هذا الفرض إلى الدعوة للتعامل مع جماع هذه الأحياء، وكل الحياة "هنا والآن"

أن المخ البشري هو حديقة حيوان/ أحياء التاريخ الحيوي كله!!

المخ: هو منظومة نيوروبيولوجية وجودية تطورية لها مركز اساسي في عضو داخل الدماغ

(الشخير بالمخ)، كما أن له تجلياته في كل خلية، وكل عضو، وكل امتداد يصل إليه“

البعد عن تصور أي موقع تشريحي محدد لأي مما نسميه المخ أو الأمخاخ

التأكيد على حضور ما يسمى مخ في شكل منظومة نيورولوجية (بيوكيميائية) تطويرية مع وقتل أن تكون تشريحية نيورونية لها معالمها وأهدافها السابقة (تطوريا)، ودورها الحالي (إيقاعحيويا)

تأجيل الحكم مرحليا على ما تقدمه مقاسا بالمقاييس البحثية الممكنة، انتظارا لنتائج الخبرة الإكلينيكية المترتبة، ما أمكن ذلك

يستحيل التعامل إكلينيكيًا وواقعا مع منات أو آلاف الأمخاخ، لذلك فإنى سوف أثبت محددًا مما أمكننى التعرف عليه في الممارسة الإكلينيكية (وغيرها من اجتهاداتى النقدية والإبداعية والشخصية) بأكبر قدر من الإيجاز

المخ البدائى الارتدادى هو منظومة الوعى التى كانت مستغنية عن الآخر (الموضوع) ، حتى لغرض التكاثر، وراحت تحافظ على بقائها بالإنشطار الذاتى، وهى ليس لها تمثيل فى التركيب البشرى الحالى اللهم إلا إن كان ذلك فى ”مخ“ البويضة، حتى قبل التلقيح، أو - تصورا- فى أى خلية منفصلة إن أمكن افتراض أنها تستطيع أن تبقى حية وهى منفصلة

الدماغ) الشهير بالمخ(، كما أن له تجليات في كل خلية، وكل عضو، وكل امتداد يصل إليه”

بالرغم من هذا التعريف اللاتعريف إلا أن هذا هو السبيل الوحيد الذى يمكن أن أوصل عرض

خبرتى وفروضى من خلاله

عودة ورجاء:

كل ما أرجوه الآن هو التأكيد على ما يلى:

(1)البعد عن تصور أى موقع تشريحي محدد لأى مما نسميه المخ أو الأمخاخ

(2)التأكيد على حضور ما يسمى مخ فى شكل منظومة نيورولوجية (بيوكيميائية) تطويرية مع

وقبل أن تكون تشريحية نيورونية لها معالمها وأهدافها السابقة (تطوريا)، ودورها الحالى (إيقاعحيويا)

(3)تأجيل الحكم مرحليا على ما تقدمه مقاسا بالمقاييس البحثية الممكنة، انتظارا لنتائج الخبرة

الإكلينيكية المترتبة، ما أمكن ذلك.

وبعد

كما أوضحت مرارا أنه يستحيل التعامل إكلينيكيًا وواقعا مع منات أو آلاف الأمخاخ، لذلك فإنى

سوف أثبت عددا محددًا مما أمكننى التعرف عليه فى الممارسة الإكلينيكية (وغيرها من اجتهاداتى

النقدية والإبداعية والشخصية) بأكبر قدر من الإيجاز ، أملا فى الرجوع إلى بعض التفصيل الممكن

والإيضاح عند التطبيق عموما، وبالذات عند عرض الحالات (حالات وأحوال)

وفيما يلى تعريف موجز تماما لهذه الأمخاخ (منظومات الوعى) إلى أن نعود إلى تفصيلها

أولا: المخ البدائى الارتدادى

هو منظومة الوعى التى كانت مستغنية عن الآخر (الموضوع) ، حتى لغرض التكاثر، وراحت

تحافظ على بقائها بالإنشطار الذاتى، وهى ليس لها تمثيل فى التركيب البشرى الحالى اللهم إلا إن كان

ذلك فى ”مخ“ البويضة، حتى قبل التلقيح، أو - تصورا- فى أى خلية منفصلة إن أمكن افتراض أنها

تستطيع أن تبقى حية وهى منفصلة

هذا المخ يمثل أقصى درجات العدول عن الحياة بكل ما تمثله من وعود، وما تهدد به من مخاطر،

وتتجلى فاعليته - إذا انفصل نشازا- فى قدرته على الاستيلاء على الطاقة الحيوية واستعمالها فى

الارتدادا انسحابا من الواقع وإلغاء لآخر : بالاستغناء أو المحو أو بالهرب حتى الاختفاء من ساحة

الحياة الماثلة

وهو إذ يسحب الطاقة ليستعملها فى الارتداد، يسحبها من سائر الأمخاخ بما يترتب عليه من إعاقة

لوظيفة هذه الأمخاخ، وإخلال بتماسكها ، وتشتيت لمكوناتها

وهذا هو ما يظهر فى الفصام التدهورى السلبى المتمادى وغيره بدرجات مختلفة حسب مرحلة

التدهور وشدة الذهانية)

بقائنا بالإنشطار الذاتي

هذا المخ (المخ البدائي الارتدادى) يمثل أقصى درجات العدول عن الحياة بكل ما تمثله من وجود، وما تهدد به من مخاطر

المخ القتالى الكرفرى التوجسى

هو منظومة الوعي التى حافظت على البقاء بمواجهة الموضوع (الأخر) باعتباره خطرا محتملا أو مائلا، عليهما أن تواجهه بكل آليات القتال من كرفر، وهجوم ودفاع، وتجسس وخوف من التجسس، وتآمر وتآمر مضاد

المخ العلاقتى المتخوف هذا هو المخ الذى رفضت أن أختزله فى الموقع الاكتنابى التى قالت به مدرسة العلاقة بالموضوع

أن الاكتنابى الذى يظهر فى هذا الموقف هو نتيجة للاعتراف بأن الموضوع ليس خطرا على طول الخط، وفى نفس الوقت هو ضرورة للبقاء للاستمرار بشرا، ومن هنا تنشأ الصعوبة التى سميت خطأ "اكتنابا"،

يمكن تفسير ما يتميز به هذا المخ بما يسمى "ازدواجية الوجدان" ambivalence

هذه الازدواجية ليست نتيجة

ولهذا المخ فى الحياة المسماة "العادية" حضوره المتخفى وراء ما تيسر من ميكانزمات انعزالية وانسحابية، ولكنه ليس حضورا صريحا لأن نشاطه فى هذا الحال ليس مستغلا تشارا تماما ولكنه نتيجة التلوث مع أمخاخ أخرى بما يمكن أن يترتب عليه ما يسمى "اضطراب الشخصية"، ليس فقط الشخصية الشيزيدية (أنظر بعد)

ثانياً: المخ القتالى الكرفرى التوجسى

هو منظومة الوعي التى حافظت على البقاء بمواجهة الموضوع (الأخر) باعتباره خطرا محتملا أو مائلا، عليها أن تواجهه بكل آليات القتال من كرفر، وهجوم ودفاع، وتجسس وخوف من التجسس، وتآمر وتآمر مضاد، ويعتبر هذا الموقف القتالى هو جوهر آليات وبرامج بقاءه، حتى أنه إذا افتقر إلى "موضوع" للقتال، كأخر مهدد: قام باستعارته من واقع الداخل ليمارس معه آليات القتال التى حافظت على بقاءه، ظنا منه أنه، بعد نشازه وغلبته، هى الأقدر على حمايته واستمراره،

وهو أيضا إذ ينشط نشازا، يستحوذ على الطاقة الحيوية ويستعملها، فمن ناحية هو يمنع المخ الارتدادى من الاستحواذ عليها، وهذا ما نعنيه من أن نشاط هذا المخ هو دفاع ضد ما هو أكثر إمرضية وهو نشاط المخ التدهورى الارتدادى

ومن هذه الوظيفة الدفاعية ضد التدهور والارتداد، يتبين لنا كيف أن علاقة هذه المنظومة (المخ) بالحياة، برغم تشوهاها موجودة وحادة، ولكن بشروطها، فهو مخ يحافظ على بقاءه بكل آليات الهجوم حتى القتل، والتآمر، وتوقع التآمر، كما يظهر كل ذلك فى كل أعراض ما يسمى طيف "البارانويا" بأكمله.

هذا المخ له أيضا حضوره فيما يسمى الحياة العادية، لكن بدرجة أقل خطرا، وأكثر ثلوثا(4) فهو يستعمل نفس الآليات الدفاعية ولكن بدرجة أخف مثل سوء التأويل، وغلبة الشك، والنفخ فى الذات، وغير ذلك (أنظر بعد)

ثالثا: المخ العلاقتى المتخوف

هذا هو المخ الذى رفضت أن أختزله فى الموقع الاكتنابى التى قالت به مدرسة العلاقة بالموضوع، وقد كتبت فى ذلك من قبل أنظر (نشرة 9-2-2016 (و)نشرة 14-2-2016)، وبينت أن الاكتناب الذى يظهر فى هذا الموقف هو نتيجة للاعتراف بأن الموضوع ليس خطرا على طول الخط، وفى نفس الوقت هو ضرورة للبقاء للاستمرار بشرا، ومن هنا تنشأ الصعوبة التى سميت خطأ "اكتنابا"، وأيضا من هنا يمكن تفسير ما يتميز به هذا المخ بما يسمى "ازدواجية الوجدان" ambivalence، فهذه الازدواجية ليست نتيجة تخلصه من مصدر الحب (الموضوع/الأم) ثم شعوره بالذنب لذلك كما تقول مدرسة العلاقة بالموضوع، وإنما هى ناشئة من صعوبة عمل علاقة موضوعية مع الموضوع "ككل" بما له وما عليه، ونتيجة لتحمل هذا الموقف والاستمرار فى حمل مسؤوليته، ينتقل تناقض الوجدان إلى تحمل الغموض مع الاستمرار: بما يتواصل حتى تتخلق منظومات الوعي التالية: "المخ الاجتماعى التكيفى"، ثم المخ الإبداعى التكاملى الجدى.

## رابعاً: المخ الاجتماعي التكيفي

بصراحة لقد فوجئت مؤخراً - كما جاء في نشرة الاثنين الماضي - بحضور هذا المخ بكل فاعليته، ووجدت أنه مخ (بالتعريف السابق مثل سائر الأمخاخ) بمعنى أنه منظومة وعى نيوروبيولوجية وجودية غائية تخلقت بالذات في الطور البشري للتطور، ثم هي قائمة لها دورها الإيجابي الخلاق الذي يتجلى من أول روعة العقل الروتيني في الفعل اليومي والإسهام في التنظيم الاجتماعي حتى بناء الحضارات وحفز التقدم.

ونشاط هذا المخ وقبول ايجابياته يساعد تماماً في إعطائه الحق في التبادل مع الأمخاخ الأخرى، وايضا في الجدل، وخاصة لتخليق المخ التالي وهو:

### خامساً: المخ التكاملى الجدلى الإبداعى (فى اليتكون) (5)

هذا المخ ليس حاضرا جاهز مثل بقية الأمخاخ لأنه فى "اليتكون in the making" طول الوقت، وهو موجود عند كل الناس وليس فقط عند المبدعين، ويمكن الرجوع فى ذلك إلى نشرات "حالات الوجود المتبادلة" "نشرة 2016-6-25" (ونشرة 2016-6-25) و(نشرة 2016-6-25) (وأیضا نشرات كيف أن الحلم هو إبداع الشخص العادى).نشرة 2016-4-23

ويعتبر هذا المخ بالذات فى حالة تخلّق باستمرار لأنه تكاملى يشمل كل الأمخاخ ليس بالتبادل فقط، وإنما بالجدل لتخليق معظم تجليات الإبداع بما فى ذلك الإيمان وأيضا لتخليق الخطوة التالية فى التطور، لكنه ليس مشروعا فحسب، بل هو يتخلق من خلال المشاركة فى الإيقاع الحيوى النمائى طول الوقت، وفى نفس الوقت هو مشارك فى الإيقاع الحيوى النمائى باستمرار.

- [1] تم تغيير الاسم من المخ "النكوصى الانسحابى" إلى هذا الاسم المخ "البدائى الارتدادى" حيث وجدت أنه أكثر تناسبا لما سيأتى ذكره

- [2] كما كان يداعبنى الأخ المرحوم الصديق أ.د. محمد شعلان كلما كتبت له من باريس وهو فى أمريكا سنة 1968 عن فروضى فيما يتعلق بكلمة مخ بأنها تذكره بمسط فى سيدنا الحسين يعلق لافتة تقول: كل كبده ومخ زين .. وأقرأ الفاتحة للحسين"

[3] - Daniel C. Dennet : (1996) "Kinds of Minds Towards Understanding of Consciousness"

الكتاب المترجم "أنواع العقول" صادر عن "المكتبة الأكاديمية" القاهرة 2003 ، نقد الكتاب

- [4] أعنى بتعبير التلوث Contamination نوعا من التداخل بين أكثر من مستوى من مستويات الوعى يدعم كل منهما الآخر مع الجمود والتوقف دون حركية الجدل والتكامل.

- [5] مرة أخرى In the making

تخلصه من مصدر العجب (الموضوع/الأم) ثم شعوره بالذنب لذلك كما تقول مدرسة العلاقة بالموضوع، وإنما هى ناشئة من صعوبة عمل علاقة موضوعية مع الموضوع "كحل" بما له وما عليه

المخ الاجتماعي التكيفي بصراحة لقد فوجئت مؤخراً بحضور هذا المخ بكل فاعليته

أنه مخ (المخ الاجتماعي التكيفي) (بالتعريف السابق) مثل سائر الأمخاخ) بمعنى أنه منظومة وعى نيوروبيولوجية وجودية غائية تخلقت بالذات فى الطور البشري للتطور

المخ التكاملى الجدلى الإبداعى : هذا المخ ليس حاضرا جاهز مثل بقية الأمخاخ لأنه فى "اليتكون in the making" طول الوقت، وهو موجود عند كل الناس وليس فقط عند المبدعين

هذا المخ (المخ التكاملى الجدلى الإبداعى) بالذات فى حالة تخلّق باستمرار لأنه تكاملى يشمل كل الأمخاخ ليس بالتبادل فقط، وإنما بالجدل لتخليق معظم تجليات الإبداع بما فى ذلك الإيمان وأيضا لتخليق الخطوة التالية فى التطور



مؤسسة العلوم النفسانية العربية  
معاً ... نذهب أبعد